التربية والتعليم

فتحنا هذا الباب للامهات والاساتذة والمعلمين في الشرق لنسهل لهم مبادلة الآراء فيه والمباحثة في مسائل التربية والتعليم فان البحث فيها من اهم ما يحتاج اليه الشرق الآن

الطبقة الساقطة

الطبقات الثلاث — الطبقة الرابعة — المدارس وكراهة العمل — مدرسة تلامذتها يحبون العمل — الاسماء الضخمة والاسماء اللطيفة — رئيس جمهورية فلاح — مسئولية امام الله والناس — شامي يا كمك يا كمك شامي

قال الفيلسوف كَنتْ الالماني : « غرض التربية انماء كل ما في الانسان من القوى » ووظيفة المربي ان يسهل هذا النمو ويزيل كل ما في طريقه من العثرات

والاولاد الذين هم موضوع التربية يكونون على ثلاث طبقات . الطبقة الاولى طبقة الاغنياء المستريحين وهم الطبقة العليا . الطبقة الثانية طبقة العاملين وهم الطبقة الوسطى . الطبقة الثالثة طبقة التعساء والمعذبين وهم الطبقة السفلى

فمن وظيفة المربي ان يربي كل طبقة من هذه الطبقات الثلاث تربية تنطبق على حاجاتها واحوالها اذا كان يريد الخير الحقيقي لها . فالطبقة العليا يربيها تربية عالية يجعلها تستفيد من راحتها وتفيد بغناها . والطبقة الوسطى يربيها تربية تزيد نشاطها لتكون اكثر استفادة من عملها وجدها . والطبقة الثالثة يربيها تربية تزيل شقاءها وترفع عنها عذابها .

ومن اكبر آفات التربية ان لا يراعي المربي حاجات هذه الطبقات واحوالها عند تربيته اياها . فانه عند ذلك ينشئ طبقة رابعة اشد تعاسة منها كلها . وهذه هي « الطبقة الساقطة »

وما هي الطبقة الساقطة ؟

انت غني من فضل الله ولك الاملاك الواسعة والتجارة الرابحة . حولك منازلك منازل جيران لك فقراء ومتوسطي الحال يعاشر اولادهم اولادك وتزور نساؤهم زوجتك . فيدهش هؤلاء الازواج ما يرون في منزلك من فخامة بنيانه وجمال اثاثه وحسن ملابس امرتك فيميلون الى جعل منازلهم كمنزلك وملابسهم وملابس اولادهم كملابسك وملابس اولادك غير ذاكرين ان ما تبذله انت في هذا السبيل هو من فضلتك وما سيبذلونه هم فيه من دماء قلوبهم . ثم يرسلون اولادهم الى المدرسة على سبيل التشبه باولادك . ويبذلون كل رخيص وغال في سبيل انالتهم « الشهادة العلمية » اقتداء باولادك . فيعود الاولاد من المدرسة اليهم طافحة رؤوسهم بالاحلام والتصورات والآمال وممتلئة نفوسهم من حدة الشباب ودعوى الصبا وكبرياء التلمذة الجيلة . فيطلب لهم آباؤهم عملاً يعملونه فيجدون انهم اصبحوا والعمل نقيضين لا يجتمعان . فان اولادهم يعتقدون ان « علومهم » رفعتهم عن حرف ابائهم وحالهم لم تعد تنطبق على حالهم فيطلبون عملاً « شريفاً » يقضون اجمل ايام العمر في طلبه وهم لا يدركونه لانه في الحقيقة اعلى منهم فيلبثون في هذه الحالة : لاهم يبالغون الطبقة العليا التي يطلبونها ولاهم يرضون بطبقتهم فيقيمون فيها . هذه هي الطبقة الساقطة

لا حظوا جيداً تجدوا هذا الداء الوبيل بصور شتى وعلى وجوه مختلفة يفتك بالشبيبة الشرقية وبالخصوص الشبيبة السورية فتكاً ذريعاً . ولا دواء لهذا الداء الا في صرف هذه الشبيبة الى حب العمل وضم التعليم العملي في المدارس الى التعليم العلمي ليكون بذلك منصرف لهذه القوى المحقونة فيها الذاهبة سدى بلا فائدة

فلا نلومن شبان الشرق اذا لم يقوموا بما يجب عليهم لانفسهم ولاهلهم ولوطنهم وانما يجب ان نلوم مدارسهم ومعلميهم وامهاتهم . فان مدارسهم لا تربيهم تربية « تنمي جميع قواهم » كما هو حد التربية في مذهب قنت بل تضع في نفوسهم ما يحول دون هذا النمو باهمالها وضع التعليم الصناعي بازاء التعليم العلمي واعراضها عن غرس فضائل الرجولية في نفوسهم مثل الاقدام وحب الجد والايثار اي عمل كان اذا لم يكن فيه ما يحط من كرامة العامل على المعيشة في الكسل والخمول والبطالة ووصاية الوالدين

بل اننا نشدد النكير على تلك المدارس لعدم تحبيب معلميها الحرف اليدوية الى التلامذة وترغيبهم في العمل بها في كل

فرصة سانحة كأن ينشأ في كل مدرسة داخلية او ابتدائية قسم يحتوي تعليم صنعة النجارة او الحدادة او غيرها من الصنائع التي تكون رياضة للجسم والعقل معاً و يكون فيها تعويد الاولاد من صغر على العمل وتعليمهم انه شريف مقدس وان البطالة هي النقص والرذيلة والضعة والانحطاط

***

واننا نحمل المدارس الشرقية تبعة بطالة الشبان الشرقيين وما تنتجه هذه البطالة من الشقاء والشرور والآثام لاننا قدرأينا بانفسنا مبلغ مايؤثره المعلم في نفوس الطلبة اذا عرف كيف يبذر بذور تعاليمه فيها. فقد كان لنا في المدرسة التي كنا ندير بها في سوريا تلامذة اعزاء جربنا هذا الامر فيهم و يلذ لنا ان نتكلم هنا عنه وعنهم. فقد تولينا امرهم وفي نفوس اكثرهم كراهة شديدة للحرف والصنائع وانفة من كل عمل يدوي. فوضعنا نصب اعيننا مقاومة هذا الروح القبيح وبث الروح الصحيح النافع الذي ينعش قوى النفس ويقوي الانسان وهو حب كل عمل واحترام كل عامل. ولم نتخذ الى هذا الامر طريق النصح والارشاد فان ذلك قلما يؤثر في نفس الولد بل جعلنا نبرهن لهم اولاً ان الانسان يشرف الوظيفة لا الوظيفة تشرف الانسان. ثم بسطنا لهم مذهب جان جاك روسو بهذا الشأن ونحوه وجوب تعليم كل ولد صنعة يدوية كصنعة النجارة والا كان الولد ناقصاً. وما زلنا نؤيد هذا المبدأ مبدأ حب العمل واحترام العامل حتى جاء يوم الفرصة فجمعناهم وقلنا لهم ان في عزمنا استدعاء نجار يعلمنا صنعة النجارة الجميلة في مدة الفرصة لاننا شديدو الميل اليها والرغبة فيها لما فيها من الفائدة الرياضية للجسم والعقل. ثم انفرط عقد التلامذة. فهل تعلمون ما كانت النتيجة؟ كانت النتيجة ان اكثر الذين كانوا يحتقرون العمل اليدوي دخلوا معامل النجارين فقضوا فيها شهر الفرصة يتعلمون النجارة «التي يحبها معلمهم» لا سيما وقد أسمعهم انه سينشىء قسماً لتعليم النجارة في المدرسة

وكأنا نرى بعضهم يبتسم حين تلاوة هذا الكلام. كلا لاتبتسموا وخصوصاً اذا كنتم معلمين فان ابتسامكم حينئذ يجعلنا نشفق عليكم وعلى مبلغ معرفتكم بواجبات وظيفتكم. ليس ما يدعو الى الابتسام في تعليم تلامذة المدارس حرفة يدوية فانها تقوي اجسامهم وتدرب ايديهم على العمل وتقوي عقولهم بتقويتها اجسامهم لان العقل الصحيح في الجسم الصحيح وفضلا عن هذا كله فانها تجعلهم يثقون بقوتهم على المعيشة مهما هبت عليهم زوابع الحياة لان الصنعة التي في ايديهم كفيلة باعطائهم خبزهم فيستريح بالهم وتولد الثقة والراحة الاقدام في نفوسهم لان الانسان لا يكون مقداماً الا بقدر ما يكون قوياً

فتعليم حب العمل في المدارس واحترام كل عامل من اهم الواجبات المدرسية. وتعليم الصناعة والزراعة والفنون رأس هذه الواجبات في هيئتنا الشرقية

اطردوا هذه الاسماء العلمية الضخمة الفارغة وضعوا مكانها اسماء الصنائع والفنون اللطيفة النافعة استبدلوا هذه المعارف السطحية التي تمحى من لوح ذاكرة التلميذ اول ما يضع قدمه خارج باب المدرسة بتلك المعارف العملية التي توحي اليه الثقة بنفسه فتقوي عزمه وتجعله قادراً على كسب خبزه بعرق جبينه في كل ارض تلقيه زوابع الحياة فيها. ومتى اعطيتموه هذه القوة وغرستم فضيلة «حب العمل» في نفسه فلا تخافوا على هذه الفضيلة من حنو امه وابيه فانهما اذا حاولا صرف افكاره عن صنعة يريد العمل بها لانه لا يشعر بميل للعمل الادبي او العلمي الذي يريدان ان يعمله — قال لهما: مامن عار يا والده في هذه الصنعة فان سنسيناتوس رئيس جمهورية رومه كان فلاحاً

ولا سبيل الى انقاص جيش البطالين في الشرق وانهاض «الطبقة الساقطة» الا بهذا التعليم العملي فاذا كانت مدارس الشرق يهمها خير تلامذتها فلتجعل بازاء التعليم العلمي تعليماً عملياً والا فهي المسئولة امام الله وامام الناس عن هذا الشقاء الذي تمد اطنابه بيننا وهذا الفقر الذي تجعله منيخاً علينا وعلى اولادنا

***

ونختم هذا الفصل بمثل صغير

رأينا منذ بضعة اسابيع في شوارع الاسكندرية شاباً في نحو العشرين من العمر مفتول العضل ضخم الجثة كانه العجل السمين. يمشي وهو حامل طبقاً في يده وينادي «شامي يا كعك يا كعك شامي» فاستوقفناه وسألناه عن حاله. قال انه من سوريا قدم الى مصر منتشئاً عن عمل فلم يجد عملاً فصنع كعكاً شامياً وبدأ يبيعه في الاسكندرية ليربح ما يسد نفقته. فالقينا نظرة الى طبق الكعك فوجدنا فيه ثلاث كعكات وقد باع اثنتين فتكون جملة تجارة هذا الشاب خمس كعكات ثمنها غرشان ونصف بما فيه الارباح والرأسمال....

فيا لانحطاط النفوس . بل يا للرحمة والشفقة على هـذا الجيل الذي يقاسي اصناف العذاب . ولا تستزيدونا فانكم تسمعـون مايؤلمكم . تسمعون ان هذا الشاب قد درس في مدارس بلده الصرف ... والنحو ... واللغة الفرنسوية ... ولكن لم يتعلم حرفة يكتفي بها ذل هذا الانحطاط وعار هذا الخمول . فكأن مدارسنا تقتل اولادنا قتلاً . نقـول ذلك ولا نبرىء الاهل من جريمة قتل هذا الشاب فان المدرسة والبيت في هذه الجريمـة مشتركان . وكم من الوف والوف الوف مثله في هيئتنا الشرقية

أ فليس اصلاح هذه الحال اعظم من كل اصلاح سياسي بل اساس كل اصلاح سياسي

الى امهات الشرق وآبائه ومديري مدارسه ومعلميه نقدم هذا الفصل لعلهم يجدون فيه ما يحركهم نحو الغرض الشريف الذي نصبناه امامهم وبالله التوفيق

باب الشعر والانشاء

ننشر في هذا الباب تاريخ حياة نوابغ الشعراء المتقدمين والمتاخرين وبعض منتخبات من شعرهم

حاتم الطائي

هو بن عبد الله بن الحشرج الطائي . كان شاعرًا ولكنه اشتهر بجوده لا بشعره . وانما اردنا ان نذكره في هذا الباب لنجمع بينه وبين « جورج اوفيروف » في جزء واحد لشبه بينهما وهو كثرة البذل والسخاء

ورث حاتم الجود عن امه عتبة فانها كانت لا ترد سائلاً فحجر عليها اخوتها حتى لا تتلف مالها واطالوا هذا المنع عليها حتى حسبوها قد تالمت منه وتركت عادتها القديمة فاعطوهـا صرمة من الابل والصرمة القطعة من الابل فوق العشرة فاتتها امراة من هوازن مستجدية فقالت لها عتبة « دونك هذه الصرمة فخذيها فلقد غنيتي من الجوع مالا امنع معه سائلاً ابدًا »

من هذه النفس الطيبة الكريمة اشتقت نفس حاتم فجاءت طيبة كريمة . وقيل ان امه رات في الحلم وهي حامل به ان قائلاً يقول لها اتريدين غلامًا سمحًا يقال له حاتم ام عشرة غلمان شجعان فقالت اريد حاتم فولدته

ولما شب حاتم وترعرع ارسله ابوه ليلحق بالابل وقيل بل جده الذي ارسله لان اباه مات وحاتم صغير فرباه جده . وسبب الحاقه اياه بالابل ان حاتمًا كان وهو غلام يخرج يطعامه الى الحي فاذا وجد من ياكل منه معه اكل والا طرح الطعام ولم ياكل . فلما صار في الابل جعل يطلب الناس في كل مكان فلا يجدهم وما زال كذلك حتى طلع عليه ثلاثة رجال وهم النابغة الذبياني وعبيـد بن الابرص وبشر بن ابي حازم الشعـراء المشهورون . فسالوه هل من قرى يافتى . قال تسالونني عن القرى والابل امامكم انزلوا وانحروا منهـا ما تشاؤن . فنزلوا وكانوا يقصدون النعمان فنحر لهم حاتم ثلاثة من الابل فامتدحوه باشعار فقال لهم حاتم اردت ان يكون لي عليكم فضل فكان لكم بشعركم فضل علي « انا اعاهد الله ان اضرب عراقيب ابلي عن آخرها او تقتسموها » فاقتسموها فاصاب الواحد منهم ٩٩ بعيرًا وقيل ٣٩ وانصرفوا لسبيلهم . فلما سمع بذلك ابوه اتاه مسرعًا وساله اين الابل قال « يا ابتِ طوقتك بها طوق الحمامة تجد الدهر وكرمًا لا يزال الرجل يحمل بيت شعر آنس به عاينا عوضًا من ابلك » فقال له ابوه لا اساكنك ابدًا ثم هجره وخرج بعيلته فلم يترك له الا جاريته وفرسه وفلوها

فاتاه بعد هذه الحادثة قوم من اسد وقيس في طريقهم الى النعمان فطلبوا منه راحلة تحمل صاحبًا لهم فقد راحلته فقال لهم دونكم فرسي هذه فاخذوها ومضوا فتبعها فلوها فخرجت الجارية لترجعه فناداها حاتم لا ترجعوا شيئًا فما تبعكم فهو لكم فاخذوا الفلو والجارية مع الفرس . فتامل

قال ابن الاعرابي . كان حاتم من شعراء العـرب ويشبه شعره جوده ويصدق قوله فعله . اذا قاتل غلب . واذا غنم انهب واذا سئل وهب . واذا اسر اطلق . وكان يقسم انه لا يقتـل وحيدًا لامه . وممن كان يختلف اليه من الشعراء الحطيئة وبشر ابن ابي حازم

وتزوج حاتم فرزق ابنته سفانة نجاءت بنزلة والدها في الجود فكان يعطيها الابل فتنها الناس فقال لها ابوها « يا بنية ان القرينين اذا اجتمعا على المال اتلفاه فاما ان اعطي وتمسكي او امسك وتعطي فانه لا يبقى على هذا شيء »